Al-Zaytouna Centre
for Studies & Consultations

مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات

Conference on

The Islamists of the Arab World & the Palestinian Issue

in Light of the Arab Uprisings

مؤتمر

الإسلاميون في العالم العربي والقضية الفلسطينية

في ضوء التغيرات والثورات العربية

ورقة عمل

تأثير السياسات الأمريكية على مواقف الإسلاميين من القضية الفلسطينية

د. إبراهيم شرقية

Crowne Plaza - Beirut - Lebanon
28 - 29 November 2012

فندق كراون بلازا – بيروت – لبنان
28-29 تشرين الثاني/ نوفمبر 2012

الإسلاميون والقضية الفلسطينية

تأثير السياسات الأمريكية على مواقف الإسلاميين من القضية الفلسطينية

د. إبراهيم شرقية[1]

مقدمة:

في جميع زياراته للولايات المتحدة الأمريكية، كان الرئيس المصري السابق حسني مبارك يردّ دائماً على طلب المسؤولين الأمريكيين له بالإصلاح والتعديل من سياساته: "أنا أو الإسلاميين". أثبتت الأيام أن مبارك كان على صواب، حيث صار الإسلاميون بديله فعلاً في الحكم.

ربما يكون مسلسل قلب الديكتاتوريات المرحلة الأسهل في زمن الثورات العربية مقارنة مع التحديات التي ستتبع تغيير الأنظمة. فقد أفرز الربيع العربي مجموعة من الحقائق فاجأت الجميع، وألقت بظلالها على صناع القرار على المستويين الإقليمي والدولي. الولايات المتحدة الأمريكية دهشت للكيفية والسرعة التي سقط بها حلفاؤها التاريخيون، وأفاقت على حقيقة جديدة مفادها أنه بات من الضروري لها التعامل مع هذه القوى التي هادنت الأنظمة الديكتاتورية في قمعها، غير آبهة بمنظومة القيم الديموقراطية، التي قامت عليها الولايات المتحدة، ومن المفترض أن تترك آثاراً على سياستها الخارجية.

بات الإسلاميون حقيقة لا مفرّ منها بالنسبة لأمريكا، وصار من الضروري أقلمة الاستراتيجيات الأمريكية للتعامل معها. سرعة التغيير فاجأت الإسلاميين أيضاً، ووجدوا أنفسهم ضمن معادلة واحدة مع خصمهم التقليدي، الولايات المتحدة، وبات لزاماً عليهم التعاطي مع سياساتها، ليس من موقع المعارضة كما هي العادة، ولكن من موقع السلطة هذه المرة.

لم يكن كلّ من الإسلاميين وأمريكا يرغب بالوجود في مثل هذه معادلة، ولكن، ما كل ما يتمنى المرء يدركه. القضايا الشائكة بين الطرفين هائلة وعلى رأسها السؤال الأصعب: المسألة الفلسطينية. سارعت الولايات المتحدة لتنبيه الإسلاميين إلى أن هناك توقعات منهم في هذا الملف، وعليهم الالتزام بها، لا بل

---

[1] زميل السياسة الخارجية بمعهد بروكنجز – الدوحة، وأستاذ النزاعات الدولية في جامعة جورجتاون – قطر
sharqieh@gmail.com

إن هامش المناورة قد يكون أضيق مما يتخيله الإسلاميون؛ لذا وجب على الإسلاميين بدورهم بلورة سياسة واستراتيجيات واضحة للتعاطي مع الضغوطات الأمريكية إن انتقلت إلى مرحلة الممارسة.

وبالرغم من صعوبة الموقف إلا أن المواجهة بين الإسلاميين وأمريكا حول المسألة الفلسطينية لا تبدو حتمية بالضرورة، إذ ما زال هناك أرضية عمل مشتركة، قد يعمل الطرفان من خلالها للوصول إلى تفاهمات معينة حول هذه المسألة، ولكن هناك ثمن لهذه التفاهمات، وليس من الواضح حتى الآن إن كان لدى الطرفين الجاهزية التامة لدفعه.

هذه الدراسة تحاول استقراء العلاقة المستقبلية بين الإسلاميين وأمريكا بشكل عام، وحول المسألة الفلسطينية بشكل خاص، وكيف سيتعامل الإسلاميون مع السياسات، والضغوط الأمريكية حول المسألة الفلسطينية.

تستعرض الدراسة في البداية منطلقات أساسية ضرورية لفهم علاقة الإسلاميين بأمريكا، ثم تتطرق إلى ماذا يريد كلّ طرف من الآخر؟ (المطالب المتبادلة)، وبعد ذلك تسلط الدراسة الضوء على المنهجية الأمريكية والسياسات التي ستتبعها في الضغط على الإسلاميين، والتحديات التي سيواجهها الإسلاميون في تعاطيهم مع أمريكا فيما يخصّ المسألة الفلسطينية، وأخيراً تحاول الدراسة طرح بعض الحلول أو بدايات حلول ربما تسهم في تجنب مواجهة قد لا يرغب الطرفان بحدوثها.

للإجابة على هذه التساؤلات قام الباحث بمراجعة التصريحات الرسمية الصادرة عن الإدارة الأمريكية، والتي لها علاقة بالإسلاميين والمسألة الفلسطينية منذ كانون الثاني/ يناير 2011، وبتركيز أكبر على التصريحات التي صدرت بعد آب/ أغسطس 2011، (وقت اقتراب وصول الإسلاميين للسلطة).

عملية المراجعة والبحث أعطت اهتماماً خاصاً لتلك التصريحات الصادرة عن البيت الأبيض، ووزارة الخارجية الأمريكية، وبدرجة ثانية المسؤولين الفاعلين في مجلسي النواب والشيوخ. البيانات التي تمت مراجعتها شملت الخطابات، والمقابلات، والشهادات في الكونجرس، والبيانات، والمؤتمرات الصحفية. بالإضافة لذلك ولفهم موقف الإسلاميين، وكيف سيتعاطون مع الضغوط الأمريكية، فقد أجرى الباحث مجموعة من المقابلات مع قيادات إسلامية مميزة، كان لإجاباتها الدور الكبير في إثراء النقاش، والإسهام في فهم هذا الموضوع، الذي سيكون بالتأكيد من أصعب ما يمكن أن يواجه الإسلاميين في الحكم، وأعقد ما يمكن للاستراتيجيات الأمريكية التعامل معه.

منطلقات أساسية لفهم علاقة أمريكا مع الإسلاميين:

من أجل فهم دقيق لعلاقة أمريكا بالإسلاميين فيما يخص المسألة الفلسطينية لا بدّ من التطرق إلى مجموعة من المنطلقات الأساسية التي تؤثر بشكل العلاقة حاضراً، وتساعد على تحديد اتجاهاتها مستقبلاً. فهم هذه المرتكزات ضروري كونها تصيغ قوالب سياسية تحدد الإطار العام لتفاعلات العلاقة الأمريكية مع الإسلاميين.

المنطلق الأول لفهم علاقة أمريكا مع الإسلاميين يتمثل في حقيقة مفادها أن الربيع العربي قد أحدث تغييرات بنيوية في النظام السياسي العربي، وأن التركيبة البنيوية القديمة، التي مثل النظام الدكتاتوري جوهرها، قد انتهت والى الأبد، وذلك على الأقل في دول الربيع العربي. نحن إذاً أمام تركيبة بنيوية جديدة لنظام سياسي جديد، يمثل الإسلاميون اللاعب الأساسي فيه، وهم وصلوا إلى هذا الموقع على أسس ديموقراطية، وبطريقة منتخبة.

وفي هذا المضمار يجدر التأكيد بأن أمريكا قد وصلت إلى هذه القناعة، وتتعامل معها كحقيقة، لا بل إن الحقيقة بالنسبة لها أن رسم السياسات الأمريكية الجديدة المتعلقة بالشرق الأوسط يجب أن تصمم على أن الإسلاميين حقيقة يجب التعامل معها، وليس من الوارد القفز عنها. الوجه الآخر لهذه الحقيقة هو أن الإسلاميين أنفسهم يعون تماماً بأنهم جزء أصيل، شرعي منتخب، من التركيبة البنيوية الجديدة للنظام السياسي العربي، وأن أمريكا لا تملك إلا أن تتعامل معهم، وذلك بفعل وصولهم إلى الحكم عن طريق الثورات الشعبية العارمة، وعبر نفس المبادئ التي تنادي بها الديموقراطيات الغربية، أي صناديق الاقتراع.

الجزء الثالث وربما الأهم من هذه الحقيقة هو أن كلا الإسلاميين وأمريكا لا يدركون إلى أيّ درجة سيتوجب على الطرفين فيها التعديل بمواقفهم التقليدية، كلّ تجاه الآخر للوصول إلى أرضية للتفاهم، وتجنب صدام قد يكون جوهرة المسألة الفلسطينية.

المنطلق الآخر يتمثل باحتلال جمهورية مصر العربية الدور القيادي، وبدون منازع عندما يدور الحديث عن علاقة الإسلاميين بالولايات المتحدة الأمريكية فيما يخص القضية الفلسطينية بالتحديد. فالباحث في أدبيات هذا الموضوع يرى بوضوح أن معظم التصريحات الصادرة عن المسؤولين الأمريكيين، والتي تختص بالدور المستقبلي لحكومات إسلاميي الربيع العربي تشير بالتحديد لما يمكن للدور المصري القيام به بهذا المجال، وكيف سيؤثر ذلك على علاقة الولايات المتحدة بالمنطقة ككل؟

يلاحظ غياب كبير في تصريحات المسؤولين الأمريكيين عمّا يتوقعونه من إسلاميي تونس، وليبيا، واليمن، أو حتى سورية فيما يخص المسألة الفلسطينية، أو شكل العلاقة المستقبلية مع "إسرائيل". السبب وراء ذلك ربما يكون لبعد هذه الدول جغرافياً عن فلسطين مثل تونس، وليبيا، وكذلك عدم توقع المسؤولين الأمريكيين قيام هذه الدول بتغيير سياستها الخارجية تجاه النزاع العربي الإسرائيلي. التركيز على الدور المصري إذاً يوجد له ما يبرره، بحكم الدور التاريخي والإقليمي الذي ربط مصر بفلسطين، وكذلك الموقع الجغرافي المتميز والحيوي على خطوط التماس مع غزة، وما يتبع ذلك من شكل العلاقة مع حركة حماس ومعبر رفح وغيرها.

ولعلّ السبب الأبرز الذي يظهر في الموقف الأمريكي المعلن فيما يخصّ مصر وموقفها من المسألة الفلسطينية هو وجود معاهدة السلام مع "إسرائيل"، والقلق الأمريكي المزمن مما قد يفعله "الإسلاميون في السلطة" مع معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية.

في هذا المضمار لا بدّ من إلقاء الضوء على التباين في الموقف الأمريكي نفسه حول شكل العلاقة التي يجب أن تربط أمريكا بإسلاميي السلطة، والحدّ الذي يمكن أن يصلوا إليه فيما يخص النزاع العربي – الإسرائيلي. فبينما يأخذ مسؤولي السلطات التشريعية (مجلس النواب، ومجلس الشيوخ) مواقف صقورية متطرفة وبدون ضوابط أحياناً، يميل مسؤولي السلطة التنفيذية كالبيت الأبيض والخارجية الأمريكية إلى اتخاذ مواقف أكثر براجماتية ودبلوماسية، إذ يبدون استعداداً للتعاطي مع الإسلاميين حول صياغة علاقات وتفاهمات مستقبلية، بالرغم من عدم إخفائهم للكثير من التخوفات لديهم، لا سيّما في مواضيع مثل أمن "إسرائيل"، التي يُجمع فرعي السلطة التشريعية والتنفيذية على كونها أولوية بالنسبة لهم.

ولرؤية التباين في موقفي الجهازين التشريعي والتنفيذي في الولايات المتحدة من الإسلاميين وعلاقتهم بفلسطين نورد ما كتبه عضو الكونجرس الجمهوري، والنائب عن ولاية فلوريدا (تشريعي) الين ويست بمناسبة فوز الإسلاميين في مصر حيث يقول:

> قبل عام، حذّر بعضنا إدارة أوباما من صعود الإخوان المسلمين إلى السلطة في مصر، وقيل حينها أننا متشائمون وخارجون عن السيطرة. أما اليوم، فقد تحققت توقعاتنا وأصبح شبح الثورة الإيرانية المشؤوم نصب أعيننا. قال الإخوان المسلمون إنّهم لن يقدّموا مرشحاً للانتخابات الرئاسية. من الواضح أنّ الربيع العربي ليس إلا كابوس إسلامي راديكالي. الآن نحن بحاجة لتأكيد دعمنا للمسيحيين الأقباط و"إسرائيل" بشكل لا لبس فيه. هذه زلّة لا تُغتفر على مستوى السياسة الخارجية لإدارة أوباما. أدعو الرئيس باراك أوباما إلى قطع المساعدات الخارجية الأمريكية عن مصر،

التنديد بنتائج هذه الانتخابات، والتنصل من الإخوان المسلمين وجميع الكيانات السياسية الإسلامية المتطرفة[2].

في المقابل يغلب على ممثلي السلطة التنفيذية، وليس دائماً، اتخاذ مواقف أقلّ أيدلوجية وأكثر دبلوماسية وبراجماتية تجاه القضايا التي تواجه سياسية أمريكا الخارجية[3]. الدافع الأساسي في رسم سياسات السلطة التنفيذية هو المصلحة الوطنية، وأكثر الطرق فاعلية لتحقيقها، بغض النظر عن أيدلوجية الخصم. هذا الموقف يظهر في تصريحات الناطق باسم البيت الأبيض "جي كارني" الذي يؤكد بأن "محاكمة الأحزاب تتمّ فقط من خلال مواقفهم وهم في السلطة وليس على أساس انتمائهم الديني". وهو بهذا الصدد يثني على "التزام الرئيس المنتخب مرسي بالاتفاقيات الدولية":

> السيد كارني: أود أن أذكرك مرة أخرى بما قلته عن الحكم على الأفراد والأحزاب على أساس تصرفاتهم حالما يتسلمون مناصبهم بدلاً من انتماءاتهم الدينية. وأود أن أشير ببساطة أنه في خطابه إلى الشعب المصري يوم الأحد، اعترف الرئيس المنتخب مرسي أن مصر ستواصل الوفاء بالتزاماتها بالمعاهدة التي أبرمتها مع "إسرائيل" وهي، بالطبع، ذات أهمية كبيرة. ونحن نعتقد أنه من الضروري للحكومة المصرية أن تواصل لعب دور مصر الريادي في إحلال السلام والأمن والاستقرار في المنطقة. وسوف نستمر في التأكيد على هذه الرسالة مع الحكومة الجديدة وبناء مشاركتنا على هذا الأساس[4].

---

[2] White House urges Muslim Brotherhood winner in Egypt vote to respect minorities, site of Fox News, 24/6/2012, http://www.foxnews.com/politics/2012/06/24/white-house-urges-muslim-brotherhood-winner-in-egypt-vote-to-respect-minorities/

النص كما ورد باللغة الأصلية:

"A year ago there were those of us who warned the Obama Administration of a Muslim Brotherhood takeover in Egypt. We were castigated as alarmists and loose cannons. Today our predictions have come to reality and the ominous specter reminding us of the Iranian revolution is evident. The Muslim Brotherhood claimed they would not run a presidential candidate. Clearly the Arab Spring is nothing more than a radical Islamic nightmare. Now we need to unequivocally reiterate our support to the Coptic Christians and Israel. What an incredible foreign policy faux pas by the second coming of President Jimmy Carter, the Obama Administration. I call upon President Barack Obama to cut off American foreign aid to Egypt, denounce the results of this election, repudiate the Muslim Brotherhood, and all radical Islamist political entities."

[3] يمكن استثناء بعض رموز المحافظين الجدد من هذه المواقف والذين كان لهم مواقف أيدلوجية جامدة في إدارة الرئيس بوش الابن.

[4] Press Gaggle by Press Secretary Jay Carney en route New Hampshire, 6/25/12, site of The White House, 25/1/2012, http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2012/06/25/press-gaggle-press-secretary-jay-carney-en-route-new-hampshire-62512

النص كما ورد باللغة الأصلية:

"MR. CARNEY: Again, I would point you to what I said about judging individuals and parties on their actions once in office rather than their religious affiliations. And I would simply note that in his address to the Egyptian people Sunday, President-elect Morsi acknowledged that Egypt would continue to uphold its

رؤية العمل السياسي الواقعي الذي يسود قطاعاً لا بأس به من الجهاز التنفيذي الأمريكي يعطي هامشاً ولو بسيطاً للإسلاميين لاتخاذ مواقف معينة تناسب برامجهم، لا سيّما فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية، بحيث لا يشعرون بأنهم مستهدفون من قبل الإدارة الأمريكية فقط بسبب انتمائهم الديني.

أخيراً يساعدنا في فهم العلاقة المستقبلية مع الولايات المتحدة الصراع المصلحي – القيمي، الذي عانت منه السياسة الخارجية الأمريكية طوال العقد الماضي، والممتدة جذوره إلى المبادئ الولسونية (المنسوبة إلى الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون 1913–1921).

بموجب هذا الصراع أعطت الولايات المتحدة الأولوية في سياستها الخارجية إلى المصلحة المتمثلة بالاستقرار في الشرق الأوسط، على حساب دعم القيم والمثل الديموقراطية، وحقّ الشعوب بتقرير المصير التي دعت إليها المبادئ الولسونية[5]، وذلك كما يظهر في اعتراف وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليسا رايس في خطابها في الجامعة الأمريكية بالقاهرة حينما قالت: "سعت بلادي، الولايات المتحدة، على مدى 60 عاماً، وراء الاستقرار على حساب الديموقراطية في المنطقة، هنا في الشرق الأوسط، لكننا لم نحقق أياً منهما"[6].

اليوم، وقد أصاب النظام السياسي العربي تغيرات بنيوية أوصلت الإسلاميين إلى السلطة تقف السياسة الخارجية الأمريكية عند نقطة مفصلية ستحدد فيما إذا كانت الولايات المتحدة ستستمر بسياساتها القديمة التي اعترفت بها رايس أو ستنهج منهجاً جديداً، ومن المهم للإسلاميين الوعي بهذه المسألة بالتحديد، لصياغة مواقف تتواءم معها، لا سيّما أن الاختبار الحقيقي للمصلحة مقابل القيم سيظهر بشكل أوسع في المسألة الفلسطينية وسيسهم موقف الإسلاميين في صياغة الموقف الأمريكي للمرحلة القادمة.

---

treaty obligations -- a treaty that is, of course, of great importance is the one that it has with Israel. We believe it is essential for the Egyptian government to continue to fill Egypt's role as a pillar of regional peace, security and stability. And we will continue to emphasize this message with the new government and structure our engagement accordingly."

[5] للمزيد حول هذا الموضوع، انظر: إبراهيم شرقية، "الولايات المتحدة وأزمة المشروع الوطني الفلسطيني،" في محسن محمد صالح (محرر)، **أزمة المشروع الوطني الفلسطيني والآفاق المحتملة** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2013).

[6] Rice calls for Mid-East Democracy, site of BBC, 20/6/2005, http://news.bbc.co.uk/2/hi/4109902.stm

النص كما ورد باللغة الأصلية:

"For 60 years, my country, the United States, pursued stability at the expense of democracy in the region, here in the Middle East, and we achieved neither."

الإسلاميون وأمريكا والمطالب المتبادلة:

ماذا تريد أمريكا من الإسلاميين فيما يخص المسألة الفلسطينية؟ للإجابة على هذا التساؤل لا بدّ من النظر إلى المسألة الفلسطينية ضمن العلاقة الكلية التي ستربط الإسلاميين بأمريكا.

إذ إن تفاهماً إسلامياً – أمريكياً سينعكس على القضايا جميعها، بما فيها القضية الفلسطينية، وكذلك ينطبق الأمر على توتر العلاقة بين الطرفين. وكما أشرنا سابقاً حول مراجعة الباحث للتصريحات الرسمية الصادرة عن الإدارة الأمريكية، بما في ذلك البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية وبدرجة ثانية المسؤولين الفاعلين في مجلسي النواب والشيوخ؛ فقد أظهرت نتيجة المراجعة مجموعة من المطالب التي ذكرها المسؤولون الأمريكيون، والتي يريدونها من إسلاميي الربيع العربي الذين يصلون إلى السلطة، وقد شمل ذلك حسب هؤلاء المسؤولين:

1. احترام المعاهدات الدولية بما فيها معاهدة السلام المصرية مع إسرائيل.
2. الالتزام ببنود كامب ديفيد.
3. تحمل دور الشريك الأمني، والمحافظة على دور القيادة في تحقيق الأمن، والسلام، والاستقرار الإقليمي.
4. المساهمة في جهود منع تهريب وانتشار الأسلحة، ومقاومة الإرهاب في القرن الإفريقي.
5. إعادة القانون، والأمن، والاستقرار إلى منطقة سيناء.
6. القبول بالتعددية السياسية، وإفساح المجال أمام المنافسة السياسية.
7. احترام حقوق الأقليات.
8. احترام حقوق المرأة.
9. إسقاط التهم الموجهة إلى المنظمات الأهلية، والسماح لها في التسجيل والعمل.
10. احترام حقوق الإنسان العالمية.

أما بالنسبة للإسلاميين فيقع ضمن مطالبهم العمل الجاد لحلّ القضية الفلسطينية حيث يقول الرئيس المصري محمد مرسي "إن نهوض الأمة العربية مرهون بحلّ كافة قضاياها المصيرية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية التي تحتاج لحلّ سياسي حقيقي ينهي كافة مظاهر الاحتلال للأراضي الفلسطينية والعربية"[7].

[7] انظر بهذا الخصوص: http://www.masrawy.com/news/egypt/politics/2012/september/5/5326392.aspx

من الواضح جداً بأن الإسلاميين يبحثون عن تغيير "جوهري" في السلوك السياسي الأمريكي تجاه المنطقة، فإذا كانت الولايات المتحدة تعتقد بأن تغييرات شكلية من الممكن لها أن تصوب العلاقة مع الإسلاميين فإنه من الواضح بأن العلاقة بين الطرفين ستشهد توتراً حقيقياً قد يطال نواحي متعددة من أوجه التعاون بين الطرفين. التغيير الجوهري هنا يتمثل في القضية الفلسطينية وإجراء التعديل المطلوب في السياسة الأمريكية لمحاولة دفعها بشكل أو بآخر.

المطلب الآخر الذي يبتغيه الإسلاميين من أمريكا يتمثل بتغير أنماط السلوك الثقافية والقيمية التي تنتهجها الولايات المتحدة تجاه المنطقة العربية. وفي هذا المضمار يقول مرسي بأن "الولايات المتحدة بحاجة إلى تغيير نهجها في التعامل مع العالم العربي بشكل جذري، وإظهار مزيد من الاحترام لقيمه والمساعدة في بناء دولة فلسطينية، إذا كانت تريد أن تتجاوز عقودا من الغضب المتراكم ضدها"[8]، ومن المهم هنا ملاحظة أن الإسلاميين يلقون بمسؤولية البدء بالتغيير على الولايات المتحدة، وليس على أنفسهم، حيث يضيف مرسي "إن الأمر بيد واشنطن لإصلاح العلاقات مع العالم العربي، ولإنعاش التحالف مع مصر، الذي كان طويلاً حجر الزاوية للاستقرار في الشرق الأوسط"[9].

هناك مجموعة من المطالب الأخرى التي يريدها الإسلاميون من أمريكا بما يخصّ المسألة الفلسطينية وأخرى مرتبطة بها مثل فتح معبر رفح بشكل دائم وإنهاء الحصار على قطاع غزة ليس فقط من الجانب المصري، ولكن الجوانب الأخرى أيضاً، والقدرة على دعم حركة حماس مادياً، ودبلوماسياً، وبشكل مباشر لا غموض فيه، وبالمحصلة النهائية التخلص من جميع التزامات اتفاقية كامب ديفيد. ولكن وبالنظر إلى العلاقة الكلية التي تربط الإسلاميين بأمريكا، ونظراً للحاجة المتبادلة بين الطرفين، أي حاجة الإسلاميين لأمريكا والعكس صحيح، فمن المتوقع أن يعمل الطرفان على تقديم تنازلات ضمن حدود معينة.

فالإسلاميون، وبالتحديد مصر ما زالوا يطمحون باستمرار المساعدات المالية، وعدم تعرضها لأي خلل وكذلك هم بحاجة كحدٍّ أدنى إلى عدم التصادم مع أمريكا في المنطقة إذ إن جلّ اهتمامهم ما زال ينصب على الأجندة الداخلية المتمثلة بالقضايا الاقتصادية والتحول الديموقراطي، لا سيّما أن شعار الثورة المصرية ما زال حاضراً بالأذهان "عيش، حرية، عدالة اجتماعية".

---

[8] أدلى الرئيس مرسي بهذه التصريحات لصحيفة النيويورك تايمز في 2012/9/22 ومتوفرة على الرابط التالي:
http://www.nytimes.com/2012/09/23/world/middleeast/egyptian-leader-mohamed-morsi-spells-out-terms-for-us-arab-ties.html?pagewanted=all

[9] المصدر نفسه.

بالمقابل، فأمريكا هي بحاجة ماسة إلى قوة الإسلاميين العارمة في المنطقة، والتي ستشكل صمام الأمان لأهم بنود الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، وهو "الاستقرار" إذ لا استقرار بدون إسلاميين، وأمريكا على قناعة بهذا الأمر. تزويد الإسلاميين للاستقرار وتزويد أمريكا للمال والنفوذ في الشرق الأوسط سيدفع الطرفين إلى تقديم "تنازلات معقولة" أو ما يمكن أن يطلقوا عليه "الواقعية السياسية"، ليس فقط على صعيد القضية الفلسطينية، ولكن على الصعد الأخرى أيضاً.

من الصعب جداً التنبؤ بالوقت الحالي بالحدّ الذي يمكن أن يذهب إليه الطرفان من مرونة في مطالبهم لتجنب الصدام. على أي حال، فالشكل التالي (1.1) يحاول إلقاء نظرة تقريبية لما يمكن أن يتوصل إليه الطرفان على المدى المنظور:

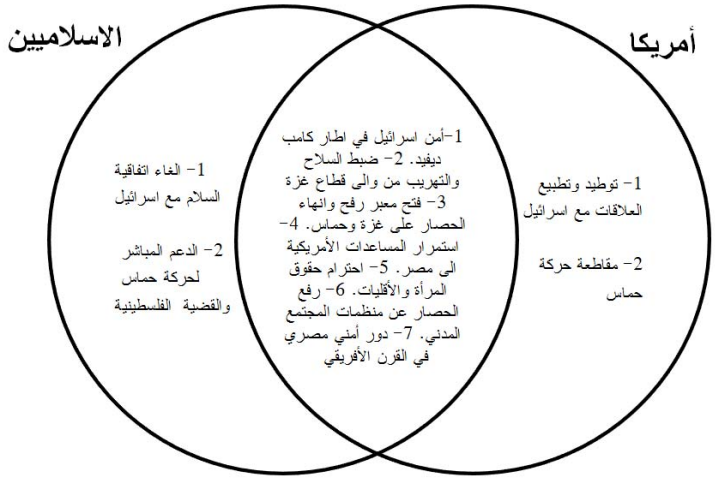

شكل (1.1) نقاط التقاء واختلاف الاسلاميين والولايات المتحدة الأمريكية

إذا افترضنا بأن هذا الشكل على الأقل قريب مما يمكن أن يتوصل إليه الطرفان على المدى المنظور، فالسؤال الذي يبرز إذاً هو كيف سيعمل كل طرف على تحقيق أهدافه؟ وما هي الاستراتيجيات التي سيستخدمها الطرفان من أجل فرض أجندته الخاصة؟ وما هي التحديات التي ستواجه مثل هكذا علاقة جديدة، بين الإسلاميين وأمريكا، قد لا يرغب الطرفان فيها قلبياً ولكنهم سيجدون أنفسهم يتفاوضون على حيثياتها؟

تحديات الإسلاميين في مواجهة السياسات الأمريكية:

من أهم التحديات التي تواجه الإسلاميين في إدارة العلاقة مع الولايات المتحدة، ومقاومة الضغوط التي ستمارس عليهم هو نقص الخبرة لديهم في هذا المجال.

فقد تركزت معظم خبرة الإسلاميين قبل الربيع العربي على العمل الجماهيري، والخيري وتأطير الأفراد، والدعوة، كما راكمت قيادات الإسلاميين خبرة في السجون، خيرت الشاطر كمثال، نتيجة للقمع الذي تعرضوا له على أيادي الأنظمة السابقة. إدارة الحكم والعلاقات الدولية لا سيّما في أكثر هذه العلاقات حساسية وأهمية بالنسبة لدولة مثل مصر تختلف كثيراً عن تأطير أفراد للانضمام لجماعة الإخوان المسلمين، أو القيام بعمل خيري صحي، أو تعليمي، أو تمويني.

عملية الانتقال إلى السلطة لدى الإسلاميين لم تمر بمراحل التطور الطبيعي لها، بل جاءت نتيجة وثبة حادة من السجون إلى السلطة. عزام التميمي، مدير معهد الفكر الإسلامي السياسي في بريطانيا، يتفق إلى حدّ كبير مع هذا الطرح، ويرى "بأن التحدي الأكبر الذي يواجه الإخوان المسلمين في مصر هو انتقالهم من الاستضعاف إلى الحكم وعليهم كذلك التعامل مع متغيرات صعبة مثل معاهدة السلام التي ورثوها من النظام السابق ولا يمكن إلغائها"[10].

تجربة إسلاميي الربيع العربي تختلف لحدّ كبير عن نظيرتها لدى إسلاميي تركيا، الذين، وقبل أن يصلوا إلى الحكم شغلوا مناصب أكسبتهم خبرة في الحكم الرشيد مثل رؤساء بلديات، ومحافظين، بالإضافة إلى العديد من المناصب الإدارية الأخرى، وهو الأمر الذي يفتقد إليه إسلاميو الربيع العربي.

مما تبين حتى الآن يظهر أن الإدارة الأمريكية تأخذ موضوع المحافظة على كامب ديفيد محمل الجد، ويقع ذلك في صلب سياستها الكبرى باتجاه الشرق الأوسط، مما سيضاعف ذلك الضغوط على الإسلاميين الذين سيعملون على تجنب المواجهة مع أمريكا من جهة، ويريدون مراعاة الثوابت الأيدلوجية من جهة أخرى.

محاولة التوفيق بين المبادئ والضغوط الأمريكية قد تدفع بالإسلاميين، كما هو الحال في الكثير من تجارب الشعوب التي مرت بتجارب مشابهة، إلى تبني غير معلن لما يمكن تسميته بـ"ازدواجية الخطاب"، أو ربما الأصح "ثلاثية الخطاب"، بمعنى أن يتبنى الإسلاميون خطاباً في الغرف المغلقة مع الأمريكان، وخطاباً لقيادة حركة حماس، وآخر للشارع.

الازدواجية إن وجدت في المستقبل ستسهم في تفاقم المشكلة، إذ من الممكن، وبشكل سريع وجود حدث يطلب فيه من قيادات الإسلاميين مخاطبة الأمريكان والشارع بنفس التصريح، فعلى سبيل المثال

[10] مقابلة أجراها الكاتب مع عزام التميمي، الدوحة، أيلول/ سبتمبر 2012.

أحدث تأخر الرئيس مرسي بإصدار تصريح حول الهجوم على القنصلية الأمريكية في بنغازي إلى حالة هلع في أروقة الإدارة الأمريكية، لقلقهم من ألاّ يأخذ مرسي موقفاً حاسماً جداً في الردّ على الهجوم.

فهمي هويدي يضيف بعداً آخر يزيد من تعقيد مسألة الخبرة في الحكم أا وهو جانب "المعرفة"[11]. والمقصود بالمعرفة هنا هو علم الإسلاميين بما حصل في السابق، وإلى أي حدّ هم ملتزمون كونهم في السلطة باتفاقيات التزم بها النظام السابق. يقول فهمي هويدي:

> لا ندري ما حصل في السابق وعلى ماذا نحن ملزمون. يقال هناك بنود سرية لمعاهدة كامب ديفيد. لا ندري ما هي هذه البنود. لا بل لا ندري ماذا يحدث الآن حيث أن هناك الكثير من الأمور الغامضة في التعامل مع الولايات المتحدة وغيرها. هناك خطوط مفتوحة ما بين المؤسسة العسكرية في مصر ومثيلتها في الولايات المتحدة، ويتمّ ذلك بتجاوز مؤسسة الدولة والرئاسة. هذه العلاقات بحاجة إلى تنظيم بالدرجة الأولى ولربما يكون لهذا التنظيم أولوية وقبل الحديث عن شكل العلاقة مع أمريكا والمسألة الفلسطينية.

ربما التحدي الأكبر فيما يختص بالمسألة الفلسطينية والذي سيواجه الإسلاميين نتيجة دخولهم معترك الحكم، يكمن في الجانب الفلسفي المتمثل بالموازنة ما بين ما يسمى بـ"الواقعية السياسية"، وتعريفها الهلامي والفضفاض جداً من جهة، والالتزام بالمبادئ من جهة أخرى. عزام التميمي يرى بأن "الموقف المبدئي للإسلاميين لا يمكن المساومة عليه كونه يستند إلى مبدأ عقائدي يلزم بعدم الاعتراف بالصهاينة في فلسطين"[12]. ولكن التحدي الأكبر لهذا الموقف يمكن رؤيته بمحاولة الإجابة على التساؤل الخاص بالدرجة التي سيتعاطى بها الإسلاميون مع "إسرائيل".

رحيل غرايبة، القائد البارز في جماعة الإخوان المسلمين في الأردن والخبير في الاتفاقيات الدولية يرى بأنه لا يوجد هناك اتفاقية أو معاهدة دولية لا يمكن تعديلها، خصوصاً إذا كانت هذه الاتفاقية غير ممثلة لشعوبها، وهو بذلك يشير إلى اتفاقيات كامب ديفيد، ووادي عربة[13].

ولنفرض أن هذه الاتفاقيات تمت فعلاً الموافقة على تعديلها، فالتعديل إذاً يتطلب توقيعاً جديداً، وهل سيكون لدى الرئيس المصري محمد مرسي الاستعدادية لتوقيع بروتوكولات جديدة مع الدولة الصهيونية؟

---

[11] مقابلة أجراها الكاتب مع فهمي هويدي، الدوحة، أيلول/ سبتمبر 2012.

[12] مقابلة أجراها الكاتب مع عزام التميمي، أيلول/ سبتمبر 2012.

[13] مقابلة أجراها الكاتب مع رحيل غرايبة، الدوحة، أيلول/ سبتمبر 2012.

البعد الثالث لهذا النقاش والذي يتوجب على الإسلاميين تحديده في مواجهتهم للضغوط الأمريكية بهذا المجال هو أي الاتجاهات سيخدم القضية الفلسطينية فعلاً ويعطي إجابات فعالة لسياسات الاستيطان، وتهويد القدس، وحلّ قضية اللاجئين وغيرها؟ هل هو الالتزام الصارم بالمبادئ وعدم المساومة عليها الذي قد يؤدي إلى إطلاق سياسة الاستيطان بدون رادع؟ أو النهج البراجماتي الذي قد يؤدي إلى التفريط والتنازل عن المبادئ وعدم الحصول على أي مكتسبات استراتيجية بالنهاية؟

هذا النقاش لا يقترح بأيّ حال أن على الإسلاميين اختيار هذا المنهج أو ذاك، ولكن التحدي الذي سيواجهه الإسلاميين وعليهم هم وحدهم حلّ هذا التحدي وهو رسم الخطّ الفاصل الذي لا ينتهك المبادئ، ولكنه بنفس الوقت يسمح بممارسة العمل السياسي ضمن منظومة عمل سياسية دولية لها قواعدها وأسسها وبروتوكولاتها.

المنهجية الأمريكية في التعامل مع الإسلاميين:

بالمقابل، كيف ستعمل الإدارة الأمريكية على تحقيق أهدافها في التعامل مع الإسلاميين والحصول منهم على التجاوب المطلوب فيما يخص المسألة الفلسطينية؟ من المهم بداية التأكيد بأن الولايات المتحدة ما زالت حتى بعد عامين من بداية الربيع العربي تعاني من سكرات، أولاً عامل المفاجأة بانفجار الربيع العربي ضدّ حلفاءها التقليدين في المنطقة وبالتحديد مبارك، وثانياً هول الاحتجاجات التي حافظت على زخم قوي لمدة عامين دون انطفاء لوتيرة الثورة التي طالت أجزاء لم تكن تخطر ببال أحد أن تطالها.

هذه العوامل أدت لوجود تخبط أمريكي واسع في صياغة استراتيجية ملائمة للتعامل مع هذه المتغيرات التي تطال المنطقة، وتسير بسرعة غير مضبوطة. ولعلّ أصعب مكونات الاستراتيجية الأمريكية الجديدة لعالم عربي ما بعد ربيعه يتمثل بالكيفية التي يجب فيها التعامل مع الإسلاميين وبالتحديد التعامل معهم فيما يخص المسألة الفلسطينية وهدف أمريكا الاستراتيجي أمن "إسرائيل".

وبعد مراجعتنا للتصريحات الصادرة عن المسؤولين الأمريكيين خلال العامين الماضيين فقد تمّ رصد عدد من العناصر التي تكون بمجملها الاستراتيجية الأمريكية، والنهج الذي تتبعه بالتعامل مع الإسلاميين بخصوص المسألة الفلسطينية في الوقت الحالي.

تجدر الإشارة إلى أن معالم هذه الاستراتيجية قابلة جداً للتطور مستقبلاً، وذلك حسب التغيرات التي ستحدث في المنطقة وتجاوب الإسلاميين مع المطالب الأمريكية. وأهم هذه العوامل:

أولاً: الإرشاد والإقناع:

يعكف المسؤولون الأمريكيون هنا على الوعظ والإرشاد وتزيين الأمر بالنسبة إلى الإسلاميين في الكيفية التي يفترض عليهم التعامل فيها مع ما يخص المسألة الفلسطينية. والهدف هنا هو إيجاد قناعات لدى الإسلاميين بأن الطريقة التي تبغي الولايات المتحدة رؤيتها تصبّ في مصلحة الإسلاميين ودولهم بالدرجة للأولى، بالإضافة إلى أنها في مصلحة الآخرين أيضاً.

الرهان هنا على أن التأثير في قناعات الإسلاميين من خلال ربط ذلك بالمصلحة الوطنية هو الضامن لمحافظة الإسلاميين على التعامل بالطريقة الأمريكية مع المسألة الفلسطينية؛ وفي هذا الصدد يقول وليام بيرنز مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية بأن معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية تقع في عمق المصلحة الوطنية المصرية بالإضافة إلى الإسرائيلية والأمريكية والآخرين في المنطقة ومن مصلحتهم المحافظة عليها كونها توجد الأرضية نحو التقدم باتجاه إقامة دولة فلسطينية، كما أنها تسهم بإيجاد سلام عربي وإسرائيلي واسع، واستقرار إقليمي افتقدت له المنطقة لسنوات طويلة.

> يبدو لنا أن معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية توغلت عميقاً في مصالح المصريين والإسرائيليين، وكذلك الأميركيين وغيرهم في المنطقة لمدة ثلاثين عاما حتى الآن. ومن مصلحة المصريين الحفاظ على ذلك لتوفير الأساس اللازم لتحقيق تقدم في إنشاء الدولة الفلسطينية التي يستحقها الفلسطينيون بكل جدارة. فهي توفر أساساً لتحقيق سلام عربي – إسرائيلي على نطاق أوسع قادر على إحلال الاستقرار في المنطقة التي شهدت القليل منه على مدى سنوات كثيرة جداً[14].

[14] Site of U.S. Department of State, http://www.state.gov/s/d/2012/180455.htm

النص كما ورد باللغة الأصلية:

"It seems to us that the Egyptian-Israeli peace treaty has been deeply in the interests of Egyptians, as well as Israelis, as well as Americans and others in the region for thirty years now. It is in the self-interest of Egyptians to sustain that, because it provides a foundation for progress toward the creation of the Palestinian state that the Palestinians so richly deserve. It provides a foundation for the completion of a wider Arab/Israeli peace, and it provides for stability in the region, which for too many years has seen too little of it."

ثانياً: "شرعنة" المطالب:

تهدف الاستراتيجية الأمريكية هنا إلى إضفاء عامل "الشرعية" على المطالب الأمريكية من الإسلاميين، فيما يخص فلسطين، وبالتحديد أمن "إسرائيل" وهي بذلك تسلك منحنيين:

1. إقران أمن "إسرائيل" بمبادئ عالمية سامية اكتسبت شرعية دولية صلبة على المستويين الشعبي والرسمي، كالقول بأن على الإسلاميين احترام مبادئ حقوق الإنسان، والأقليات، والمرأة، والتعددية السياسية، وأمن "إسرائيل".

عملية إدراج العلاقة مع "إسرائيل" ضمن هذه المجموعة من المبادئ العالمية يهدف إلى إيجاد انطباع، وقناعة لدى الإسلاميين، وغيرهم بأن هذه الحزمة من المبادئ مطلب أساسي شرعي متكامل لا يتجزأ ومطلوب من الإسلاميين احترامه حتى يصبحوا جزءاً من الشرعية الدولية. عملية الربط تظهر في تصريح دينيس روس المستشار السابق للرئيس أوباما لشؤون الشرق الأوسط حيث يقول في تصريح له في آب/ أغسطس 2012:

"عليهم [المصريين] احترام حقوق الأقليات، والنساء، وتقبّل التعددية السياسية، والمساحة المخصصة لمنافسة سياسية مفتوحة، كما وعليهم احترام التزاماتهم الدولية، بما في ذلك شروط معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل"[15].

2. "أقلمة" التعاون الأمني حيث يحاول المسؤولون الأمريكيون باستمرار نقل اتفاقية السلام المصرية – الإسرائيلية من إطارها القطري (دولة لدولة) إلى إطار إقليمي أوسع (ضرورة إقليمية). أقلمة التعاون المصري الإسرائيلي هو في حقيقة الأمر جزء من استراتيجية أكبر تهدف إلى إعادة تعريف الدور المصري في المنطقة، وربط ذلك بضرورات أمنية استراتيجية هادفة لإيجاد تعاون أمني، واستقرار إقليمي، لطالما عملت السياسات الأمريكية جاهدة للوصول إليه.

إذاً، فالحديث هنا يدور ليس فقط عن تعاون مصري – إسرائيلي حول معبر رفح فقط، ولكن بربط التعاون الأمني المصري الذي من المتوقع أن يقوم به الإسلاميون بمنظومة أمنية إقليمية ذات جوانب متعددة، تطال من ضمن غيرها القرن الأفريقي، ومحاربة تهريب الأسلحة، والتطرف القادم من أفغانستان. وبهذا الصدد توضح الناطقة باسم الخارجية الأمريكية فكتوريا نولاند:

---

[15] Egypt's new leaders must accept reality, *The Washington Post* newspaper, 19/8/2012, http://articles.washingtonpost.com/2012-08-19/opinions/35491614_1_morsi-muslim-brotherhood-sami-anan

النص كما ورد باللغة الأصلية:

"*They [Egypt] must respect the rights of minorities and women; they must accept political pluralism and the space for open political competition; and they must respect their international obligations, including the terms of Egypt's peace treaty with Israel.*"

إن قرار الوزير قد تمّ تصميمه أيضاً على أساس التنازل لإثبات دعمنا القوي لدور مصر المستمر كشريك أمني ودورها الريادي في تعزيز الاستقرار والسلام في المنطقة. وقد حافظت مصر على ما يزيد عن ثلاثين عاماً من السلام مع إسرائيل. ويسهم هذا السلام في الجهود المبذولة لوقف انتشار الأسلحة وتهريبها، وتسهيل إرسال بعثات من أفغانستان لمكافحة الإرهاب في منطقة القرن الأفريقي[16].

ويضيف جي كارني الناطق باسم البيت الأبيض: "سوف نستمر في التأكيد على هذه الرسالة [عن الاستقرار الإقليمي] مع الحكومة الجديدة وبناء مشاركتنا على هذا الأساس"[17].

ثالثاً: الإلزام والتلويح بالجوانب القانونية والمالية:

أظهر المسؤولون الأمريكيون استعدادا واضحاً للجوء إلى الضغط بأشكاله المالية، والقانونية من أجل إلزام الإسلاميين بالتعاون الأمني والسلمي بما يضمن المصالح الأمريكية في المنطقة وعلى رأسها اهتمامهم بمعاهدة السلام مع "إسرائيل". فحسب هؤلاء المسؤولين لن تتورع الولايات المتحدة عن وقف المعونات الاقتصادية لمصر، واللجوء إلى الجوانب القانونية لإلزام مصر بالقيام بالتزاماتها لمعاهدة سلام قامت بالتوقيع عليها.

بالرغم من أنه من المبكر الحديث عن لجوء أمريكا للجانب الإلزامي بشقيه المالي، والقانوني في التعامل مع إسلاميي مصر بالتحديد، إلا أن هذا يبقى احتمالاً قائماً، وتصريحات المسؤولين الأمريكيين تشير إلى استعداد الولايات المتحدة إلى استخدامه، وهو أمر يحفز الإسلاميين بهذه المرحلة، أي قبل استخدامه، إلى التفكير بحلول بديلة وصياغة استراتيجيات ملائمة إذا ما لجأت الولايات المتحدة إلى الجوانب المالية، والقانونية. جوانب التلويح بالقوة القانونية، والمالية تظهر في تصريحات المسؤول

---

[16] U.S. Department of State, http://www.state.gov/r/pa/prs/ps/2012/03/186709.htm

النص كما ورد باللغة الأصلية:

"*The Secretary's decision to waive is also designed to demonstrate our strong support for Egypt's enduring role as a security partner and leader in promoting regional stability and peace. Egypt has maintained thirty-plus years of peace with Israel. It contributes to efforts to stop proliferation and arms smuggling and facilitates missions from Afghanistan to counterterrorism in the Horn of Africa."*

[17] The White House, http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2012/06/25/press-gaggle-press-secretary-jay-carney-en-route-new-hampshire-62512

النص كما ورد بالغة الأصلية:

"*Will continue to emphasize this message[on regional stability] with the new government and structure our engagement accordingly."*

الإعلامي في الإدارة الأمريكية روبرت جيبس حيث يقول: "من المهم أن تعترف الحكومة المصرية المقبلة بالاتفاقات التي تمّ توقيعها مع حكومة إسرائيل"[18].

أما جانب الضغط المالي فيظهر جلياً في تصريحات عضو الكونجرس كي جرانغز الذي يقول "لهذا السبب، عملت مع زملائي لوضع شروط على المساعدات، بحيث أنه سيتم دعم الحكومة المصرية التي تريد التمسك بالمبادئ الديموقراطية، والالتزام باتفاقية كامب ديفيد. لم يكن باستطاعة مجلس الشيوخ أن يكون أكثر وضوحاً".

كذلك يشير ستيفن ميرز "خطوة الإدارة الأمريكية لمنح مصر 450 مليون دولار كمساعدة تواجه مقاومة"[19].

ويربط مسؤول بارز في وزارة الخارجية المعونات الأمريكية بوضوح بتحقيق المصلحة الأمريكية في مصر، والمنطقة ككل حيث يقول: "ستعمل الإدارة الأمريكية على محاولة إقناع الكونجرس بأن هذه الميزانية هي بكل تأكيد لدعم المصلحة الأمريكية برؤية السلام والاستقرار والديموقراطية في مصر والمنطقة المحيطة بها[20].

حلول:

المواجهة بين الإسلاميين وأمريكا حول القضية الفلسطينية، أو غيرها تبقى مسألة واردة جداً، ولكنها ليست حتمية بالضرورة. هناك أرضية عمل مشتركة يمكن للإسلاميين وأمريكا العمل من خلالها، وهذه الأرضية قد تفتح المجال لعمل الكثير للتغلب على العديد من الصعاب، والتحديات التي تواجه الطرفين، وبالتحديد المسألة الفلسطينية.

---

[18] Site of NRP, http://www.npr.org/2011/02/13/133729668/Egypts-New-Challenge-The-Unknown

النص كما ورد باللغة الأصلية:

"It's important that the next government of Egypt … recognize the accords that have been signed with the government of Israel."

[19] U.S. Move to Give Egypt $450 Million in Aid Meets Resistance, *The New York Times* newspaper, 28/9/2012, http://www.nytimes.com/2012/09/29/world/middleeast/white-house-move-to-give-egypt-450-million-in-aid-meets-resistance.html

[20] *Ibid.*

النص كما ورد باللغة الأصلية:

"The administration would consult with members of Congress in the days ahead to make the case that this budget support is firmly in the U.S. interest in seeing peace, stability and democracy in Egypt and the wider neighborhood."

ويمكن رؤية هذه الأرضية في تصريحات الدكتور صدر الدين البيانوني المراقب العام السابق للإخوان المسلمين في سورية: "التواصل والحوار هو أفضل الوسائل للاتصال بين الغرب والقوى الصاعدة في المنطقة..... الاعتدال والانفتاح التي تتميز بها الحركات الإسلامية سيساعد بإنجاح هذا الحوار... قيم الديموقراطية الغربية المتمثلة في العدل، والمساواة، واختيار الحاكم هي جميعها أصلاً قيم إسلامية"[21].

يتفق مع هذا الطرح لحدّ كبير الدكتور حسن الترابي الذي يرى بأن "الأمريكان بشكل عام هم واقعيون إلى حدّ معين بمطالبهم، فهم يعون بأن الإسلاميين أقوياء ومنتخبين، والأهم من ذلك أنهم جاءوا إلى الحكم بطرق شرعية، فلذلك من المستبعد المغالاة بمطالبهم"[22].

كذلك تصب تصريحات الرئيس المصري محمد مرسي في التأكيد على وجود الهدف المشترك والأرضية المشتركة التي على الإسلاميين وأمريكا العمل من خلالها، حيث يقول "هناك هدف مشترك بين العرب والأمريكيين: أن يعيشوا أحراراً في بلادهم وفق تقاليدهم ومبادئهم، في ظلّ نظام عادل وديموقراطي"، ويضيف أنه يأمل بوجود "تعايش متناغم وسلمي".

بالرغم من أن هذه التصريحات للمسؤولين الإسلاميين توحي بوجود استعداد لديهم للتفاهم مع أمريكا حول القضايا التي ستواجه الطرفين مستقبلاً إلا أن ذلك لا يعني أبداً بأن الضغوط الأمريكية على الإسلاميين ستنتهي، أو تخف وتيرتها، لا سيّما فيما يتعلق بالقضية المركزية، القضية الفلسطينية. فكما رأينا في القسم السابق من هذه الدراسة، فالمطالب الأمريكية من الإسلاميين متعددة تشمل بالإضافة إلى محافظة مصر على اتفاقية السلام بحذافيرها مسائل أمنية تتعلق بدور أمني مصري نشط في القرن الأفريقي، وقضايا أخرى مثل حقوق الأقليات، والمرأة، وغيرها.

التاريخ السياسي والدبلوماسي الأمريكي في المنطقة يشير بوضوح إلى أن الولايات المتحدة لديها الاستعدادية للمساومة على القضايا القيمية مثل المرأة، والأقليات، والحريات السياسية، وحقوق الإنسان[23]، ولكنها لم تظهر قدراً كافياً من المرونة في القضايا الأمنية وتلك المتعلقة بحليفتها "إسرائيل". التصريحات الأمريكية الرسمية التي تمت مراجعتها تشير إلى استعداد الولايات المتحدة لممارسة سياسات "الإقناع، والإرشاد، والشرعنة، ومن ثمّ الإلزام والتلويح بالإجراءات القانونية والمادية". ولكن بنفس الوقت تدرك

---

[21] مؤتمر الإسلاميون والثورات العربية، الدوحة، أيلول/ سبتمبر 2012.

[22] مقابلة أجراها الكاتب مع حسن الترابي، الدوحة، أيلول/ سبتمبر 2012.

[23] هذا لا يعني أبداً أن الإسلاميين سينتهكون هذه الحقوق ولكن فقط الممارسات السياسية الأمريكية السابقة في المنطقة توحي بأن لدى أمريكا الجاهزية لغض الطرف عن انتهاكات بهذا المجال.

الولايات المتحدة أن المواجهة مع الإسلاميين لن تكون سهلة، لا سيّما إذا حافظوا على قاعدة شعبية عريضة، تدعم وصولهم إلى الحكم. لن يكون بمقدور الولايات المتحدة فرض أي سياسة على الإسلاميين أو غيرهم ما دام هؤلاء يحافظون على الحاضنة الشعبية العريضة.

ومن المهم هنا ملاحظة أن العامل الحاسم بقدرة أمريكا على التفرد بالأنظمة الدكتاتورية كنظام مبارك هو خسارة هذه الأنظمة لقاعدتها الجماهيرية وتعليق مصيرها بالدعم الأمريكي، الأمر الذي مكن الولايات المتحدة من فرض أجندتها بالكامل، وبسهولة، وبدون أخذ نبض الشارع بعين الاعتبار.

الإسلاميون استفادوا من هذا الدرس ولن يقعوا بنفس الخطأ، لا سيما بعد رؤية سرعة تخلي الولايات المتحدة عن حلفاءها عندما يصطدمون مع جماهيرهم. الأمر الآخر الذي سيمنع أمريكا من فرض أجندتها بالقوة على الإسلاميين هو قدرة الإسلاميين على زعزعة الاستقرار، الذي يعدّ عصب الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، والاستقرار، لضمان تدفق النفط إلى الأسواق الأمريكية، يعدّ عاملاً استراتيجياً إثر لدرجة كبيرة في صياغة السياسة الأمريكية تجاه المنطقة العربية.

لهذا السبب ونتيجة للثمن الباهظ الذي يمكن أن ينجم عن المواجهة بين الطرفين فمن المحتمل، وعلى الأقل على المستوى المنظور، أن يدخل الإسلاميون وأمريكا بعقد غير مكتوب، يتحاشى فيه كلّ منهما الاصطدام مع الآخر، ولكن وبنفس الوقت يسعى كلّ طرف إلى تحقيق الحدود الدنيا من مطالبه لدى الآخر.

الإسلاميون لديهم بكلّ تأكيد خيارات ومقترحات أيضاً يمكن لها أن تساعد على تجنب المواجهة مع الولايات المتحدة. رحيل غرايبة على سبيل المثال يقترح لمواجهة ضغوط الولايات المتحدة تفعيل حكم المؤسسات، وهذه لغة تفهمها الولايات المتحدة حيث لا يوجد بعد الآن، بعد الربيع العربي، الرئيس الواحد والكلمة الواحدة[24].

تبقى مع ذلك القضية المركزية التي ستجد جميع الأطراف صعوبة في المساومة عليها، وهي بالطبع المسألة الفلسطينية، ومن ثمّ قضية حماس، والحصار على غزة، التي ستبقى تفرض نفسها وبقوة على أي أجندة حوار مستقبلية ما بين الأطراف. نقطة التسوية التي يمكن للإسلاميين وأمريكا التوصل إليها فيما يختص الموقف من أمن "إسرائيل" هو ما يقترحه عزام التميمي[25]، وهو اللجوء إلى الاعتراف بالكيانات

[24] مقابلة أجراها الكاتب مع رحيل غرايبة، أيلول/ سبتمبر 2012.

[25] مؤتمر الإسلاميون والثورات العربية، الدوحة، أيلول/ سبتمبر 2012.

الموجودة بحكم الواقع (de facto recognition)، وليس الاعتراف الرسمي (de jure recognition) المتعارف عليه بين الدول[26]، فحسب التميمي "لا يمكن الاعتراف بشرعية الاحتلال، ولكن يمكن التعاطي معه بحكم الموجود والدخول في هدنة طويلة الأمد، الاعتراف بالشرعية مرفوض".

باعتقادنا أن الولايات المتحدة من حيث المبدأ لديها الجاهزية لدراسة هكذا مقترحات، والتعاطي معها، بل واعتمادها، ولكن فقط في حالة موافقة أطراف النزاع عليها. فالمهم بالنسبة لأمريكا هو وجود أطراف مستقرة وراضية بترتيبات معينة. ولكن المسألة التي يمكن لها أن تفوض أي تفاهم إسلامي أمريكي حول المسألة الفلسطينية هو السلوك الإسرائيلي تجاه هكذا تفاهم.

"إسرائيل" تمقت أي تفاهم إسلامي أمريكي وهي تقف من حيث المبدأ ضدّ وجود الإسلاميين في الحكم سواء في مصر أو غيرها، وبالتأكيد سيكون الوضع أسوأ بكثير من وجهة نظر إسرائيلية إذا نجح الإسلاميون في الحكم أيضاً. ومع ذلك يصعب الجزم الآن بالكيفية التي يمكن لـ"إسرائيل" فيها رؤية التفاهم الإسلامي الأمريكي، ومدى تأثيره على مصالحها سواء الإقليمية أو تلك المرتبطة في الساحة الأمريكية.

فمن جهة يمكن لها أن ترى هذا التفاهم تهديداً مباشر لمصلحتها، ومنافساً قوياً لها كحليف أمريكا الأول في المنطقة، ومن الممكن أيضاً أن ترى أن هذا التفاهم سيسهم في قبولها في المنطقة أو على الأقل تعزيز لنظرية الأمن الإسرائيلي التي بموجب التفاهم سيتم احتواء الخطر الإسلامي القادم من إسلاميي الربيع العربي.

ومهما يكن الأمر فإن إمكانية لجوء "إسرائيل" لتقويض أسس هذا التفاهم تبقى قائمة وكبيرة لسببين الأول تعدّ فيه "إسرائيل" فشل التجربة الإسلامية في الحكم هدفاً استراتيجياً لها لن تتوانى عن العمل بكافة السبل لإفشاله وتقويض دعائمه حتى، ولو كان ذلك على حساب أهداف آنية قصيرة المدى، والثاني يتعلق بحركة حماس في غزة التي يمكن لها أن تنتعش بسبب تفاهم إسلامي أمريكي. حركة حماس كانت وما زالت خطاً أحمر بالنسبة لـ"إسرائيل" ستعمل على محاربته، حتى لو تسبب ذلك بخسائر محدودة لها أو خسائر أمريكية كبيرة نتيجة لتصعيد محتمل.

[26] يمثل الاعتراف الرسمي de jure من قبل دولة لدولة أخرى موثقة بتصريح رسمي غالباً ما يكون التصويت عليه في برلمان الدولة، أما de facto فيمثل التعاطي مع الدولة الأخرى بحكم الممارسة وليس من خلال اتفاقيات رسمية موثقة ومصادر تمليها عليها من جهات تشريعية لتلك الدولة.

تاريخياً لوحظ بأنه لا يضير "إسرائيل" التضحية بالمصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط حتى الاستراتيجية منها ما دام ذلك يخدم مصلحة إسرائيلية آنية أو استراتيجية. فعلى سبيل المثال يمكن المجادلة بأن الولايات المتحدة ستقبل بترتيبات أمنية تقوم على أساس الاعتراف بالكيانات القائمة (de facto recognition) إذ إن هكذا ترتيبات تخدم في المحصلة النهائية المصلح الأمريكية الكبرى في الشرق الأوسط التي تقوم بالأساس على المحافظة على عامل الاستقرار في المنطقة.

ولكن من المحتمل أن ترى "إسرائيل" بهذه الترتيبات ترسيخ لدعائم حكم حماس في غزة والاعتراف بها كقوة قائمة في المنطقة، وعندها سيبدأ الضغط الإسرائيلي على الولايات المتحدة لإبطال هكذا تفاهم أو منع حدوثه في المقام الأول الأمر الذي يترتب عليه توتر في علاقات الإسلاميين مع أمريكا مرة أخرى وكذلك التوتر في المنطقة ككل، والتاريخ السياسي للعلاقات الأمريكية – الإسرائيلية حافل بالأمثلة التي تقوم فيها "إسرائيل" بالضغط لتغيير الموقف الأمريكي.

التحدي الأكبر الذي يواجه أي تفاهم إسلامي – أمريكي إذاً هو مقدرة "إسرائيل" على العبث بهكذا اتفاق، إذ يمكن لها بأي لحظة اللجوء للتصعيد على الأرض، وتحديداً في غزة، وفي أي مواجهة فلسطينية – إسرائيلية ستقوم الولايات المتحدة الأمريكية بالوقوف إلى جانب "إسرائيل" بغض النظر عن مسببات التوتر. من هنا تبقى "إسرائيل" تمثل التهديد الأكبر لأي تفاهم إسلامي – أمريكي محتمل، لذا وجب على الإسلاميين الوعي الكامل بهذه المسألة، والبحث عن استراتيجيات بديلة تؤهلهم من التعاطي مع ضغوط أمريكية هائلة، قد يكون مصدرها "إسرائيل"، تهدف إما إلى تطويعهم أو إفشال تجربة حكمهم.